على الغلاف الحرب القذرة على فنزويلا

استراتيجية واشنطن «الهجينة»: تجويع وتخريب وعمليات استنزاف

تستمرّ الولايات المتحدة في معركتها الهجينة ضد فنزويلا، التي يتصدّرها جنرالات الحروب القذرة، من إليوت أبرامز إلى جون بولتون وغيرهما. وفي ظلّ استبعاد التدخل العسكري المباشر، تبدو واشنطن متجهة إلى تفعيل أدوات بديلة، تشمل تشديد الخناق الاقتصادي، وتصعيد الهجمات السيبرانية بهدف شلّ القدرات الفنزويلية، فضلاً عن احتمال العودة إلى «النموذج النيكاراغوي»، أي تشكيل مجموعات مسلحة للشروع في حرب استنزاف وعمليات إرهابية. كل هذه الاحتمالات، فضلاً عن التدخل العسكري الواسع والمباشر، وضعتها كاراكاس على طاولة البحث، مُقرّة استراتيجية مواجهة توزّعت ما بين الإدارة السياسية والقيادة العسكرية، وبفعل صمودها على مدار أكثر من شهر ونصف شهر، استطاعت الدولة البوليفارية امتصاص الصدمة، والانتقال إلى الهجوم المضاد عبر تعزيز التحالفات مع الدول المناوئة للعدوان الأميركي. خطوات ترافقت مع حالة خمول على مقلب الدول المنخرطة في مشروع واشنطن، بعدما قلّبت هذه الحكومات حساباتها، ووجدت أن أي مواجهة عسكرية مع فنزويلا آيلة إلى فشل حتمي.

(الأخبار)

وليد شرارة

باستثناء غزوها لغرانادا في 1983، ولبنما في 1989، اعتمدت الولايات المتحدة الحرب المنخفضة التوتّر نمطاً رئيسياً لتدخلاتها العسكرية في بلدان وسط القارة الأميركية وجنوبها. اختلفت مستويات هذا التدخل وأساليبه من بلد إلى آخر. ففي بعض هذه البلدان، ومنذ أربعينيات القرن الماضي، اكتفت واشنطن بدعم جيوش النظم الحليفة وأجهزة أمنها، وتدريبها على تقنيات مكافحة التمرد لمواجهة الحركات الثورية الناشطة في تلك الحقبة. وهي أنشأت لهذه الغاية «معهد الأميركيتين للتعاون الأمني»، أو «معهد بنما»، الذي أداره الـ«بنتاغون» مباشرة عام 1946 في بنما، قبل نقله إلى فورت بينينغ في الولايات المتحدة عام 1984. خرّج هذا المعهد مئات الضباط من مختلف دول أميركا الوسطى واللاتينية بعد تلقيهم التدريب العسكري، وتعبئتهم أيديولوجياً ضد الحركات اليسارية والوطنية، ونظّم عدد منهم انقلابات عسكرية في بلدانهم الأصلية بتشجيع أميركي. ومما يجدر ذكره، أن عقيدة مكافحة التمرد، التي لُقّنها هؤلاء الضباط على مدى عقود، استندت إلى تجارب الحروب الاستعمارية للجيشين الفرنسي والبريطاني ضد حركات التحرر الوطني في الهند الصينية والجزائر وماليزيا، وكذلك إلى تجربة الجيش الأميركي في حرب فيتنام فيما بعد. المهم أن هذه العقيدة تفترض أن الشرط الرئيسي للانتصار على الحركات الثورية، «التي تتحرك كالسمكة في الماء بين السكان»، ترويع الأخيرين بجميع الوسائل المتاحة، لتطويعهم ودفعهم إلى الانقلاب عليها.

تحولت بلدان وسط القارة وجنوبها آنذاك إلى مختبر حقيقي للحرب القذرة الأميركية، وما تختلها من استخدام مرعب ومنهجي لأساليب التعذيب واللجوء المتكرر إلى عمليات القتل الجماعي والإغتيال والخطف والإخفاء القسري للمعارضين. هذا في دول كانت نظمها حليفة للولايات المتحدة. أما في تلك التي وصلت فيها حركات وطنية إلى السلطة، وأبرزها نيكاراغوا، فقد قادت واشنطن حرباً بالوكالة، شارك فيها خبراؤها وبعض من قواتها الخاصة إلى جانب عصابات الكونتراس ضد الحكومة الساندينية. بدأت هذه الحرب عام 1978 عند انتصار الساندينيين، واستمرت نحو 12 سنة، استُنزفت خلالها نيكاراغوا بشرياً ومادياً، حتى خسارتهم الانتخابات في 1990 في مواجهة مرشحة اليمين المدعومة أميركياً، فيوليتا شامورو. لا شك في أن تعيين إليوت أبرامز، أحد رموز تلك السياسة الأميركية منصب المبعوث الخاص لفنزويلا، يشي بطبيعة الاستراتيجية التي تعتمدها واشنطن حيال هذا البلد. لكن نجاحها أو فشلها يرتبطان بمدى تماسك الكتلة المؤيدة للنظام الوطني داخلياً، وبمواقف دولية معارضة جدياً لها.

مختبر جديد للحرب الهجينة

بحسب موقع «ميليتاري تايمز»، لم يخف ترامب عند وصوله إلى السلطة في 2017 احتمال لجوء إدارته إلى تدخل عسكري في فنزويلا. وهو رأى، في أيلول الماضي، «أن هذا النظام يمكن إسقاطه بسرعة من قِبل العسكريين إن قرروا ذلك». أرسلت الإدارة إشارات أخرى عن إمكانية الذهاب إلى هذا الخيار: تعهّد إظهار مستشار الأمن القومي، جون بولتون، أمام وسائل الإعلام لدفتر كُتب عليه «5000 من القوات إلى كولومبيا»، وقرار وزير الخارجية، مايك بومبيو، مغادرة جميع الدبلوماسيين الأميركيين لفنزويلا، لأن «بقاءهم بات عقبة أمام السياسة الأميركية» بحسب تعبيره. لكن بعض الخبراء، ومنهم عسكريون سابقون، غير مقتنعين بسهولة تبني مثل هذا القرار. ريبيكا تشافين، عضو «معهد الحوار بين الأميركيتين»، رأت في شهادة أمام الكونغرس أن اجتياح فنزويلا يتطلب مشاركة ما بين 100000 و150000 من القوات الأميركية التي ستواجه 356000 من القوات الفنزويلية، في بلد مساحته ضعف مساحة العراق. وأكدت تشافيز أن الحرب «ستكون طويلة وبشعة، وستوقع خسائر بشرية ضخمة».

> **صمود فنزويلا في مواجهة هذه الحرب مشروط بمدى استعداد الصين وروسيا لدعمها**

استعادة السيطرة على وسط القارة وجنوبها، التي تتدفق إليها الاستثمارات الصينية ويتسلل إليها النفوذ الروسي، أصبحت من الأولويات بالنسبة إلى إدارة ترامب. يفترض ذلك إسقاط الأنظمة الوطنية فيها، وفي طليعتها النظام في فنزويلا، البلد الذي يحتوي على أحد أهم مخزونات النفط في العالم، في سياق دولي يستعر فيه الصراع على الموارد بين القوى الكبرى. من البديهي أن هذه الإدارة الهوجاء، التي تقود إمبراطورية متراجعة، تسعى إلى السطو على مقدّرات الحلفاء والخصوم على حد سواء لوقف هذا التراجع، وهي ستمضي قدماً في سياستها العدوانية تجاه فنزويلا. إلا أن خيار الاجتياح العسكري المباشر سيجد معارضة واسعة داخل الرأي العام الأميركي، بما فيها قطاع كبير من مؤيدي ترامب. فغالبية الأميركيين بعد تجارب أفغانستان والعراق لم تعد مستعدة لتأييد مغامرات عسكرية خارجية طويلة ومكلفة وغير مرتبطة بمواجهة تهديد وجودي لبلادهم. لا تستطيع الإدارة، مهما بلغت حماقتها، أن تتجاهل هذا المعطى عندما تبلور سياساتها الفعلية حيال فنزويلا. ولن يوافق ترامب على مغامرة عسكرية واسعة تنعكس نتائجها سلباً على معدلات شعبيته وحظوظه في الفوز برئاسة ثانية.

لذلك، من المرجح أن يكون خيارها الحقيقي الاستمرار في الحرب الهجينة التي بدأتها، مع احتمال قيام قواتها بعمليات عسكرية محدودة وموضعية إلى جانب مجموعات معارضة فنزويلية. حركة المعارضة الفنزولية الاحتجاجية تدار من واشنطن، التي تؤمن لها الدعم السياسي والإعلامي والمادي، وهي باشرت، عملياً، شنّ عمليات تخريب سيبرانية أدت أخيراً إلى تعطيل الكهرباء في البلاد. قد تتبع هذا الأمر العودة إلى «النموذج النيكاراغوي»، أي تشكيل مجموعات مسلحة عند الحدود الكولومبية ـ الفنزويلية للشروع في حرب استنزاف وعمليات إرهابية، تستهدف الجيش والشخصيات السياسية والقوى الموالية للنظام، بمساهمة من قوات خاصة أميركية. مثل هذه الاستراتيجية التي تتضمن استخدام أدوات عسكرية وأمنية وسياسية ودبلوماسية وإعلامية واقتصادية وسيبرانية ستكون كفيلة، بنظر الإدارة، بشقّ صفوف الكتلة الموالية للنظام، ودفع قطاع من الجيش إلى الانقلاب عليه. هذا هو الرهان الأميركي غير المعلن باعتقاد فلتون أرمسترونغ، المحلل السابق في الاستخبارات المركزية، الذي يصرّ على أن الإدارة «تحاول تحفيز العسكريين الفنزويليين على الانقلاب على مادورو وإسقاطه. وعندما يلجأ المدنيون اليائسون إلى الجيش طلباً للخلاص، فإنه في العديد من الحالات لا يرفض ذلك». ويشير أرمسترونغ إلى أن الولايات المتحدة قد تستغل أزمة اللاجئين على الحدود مع كولومبيا للتدخل «الإنساني» في تلك المنطقة، بذريعة إنشاء ممر آمن للمدنيين، وتوفير المساعدات لهم من أجل تشجيع الجيش على إطاحة النظام، لأنه عرّض السيادة الوطنية للخطر. وهو يؤكد أن إليوت أبرامز، صاحب السجل الحافل في الإشراف على عمليات خاصة في هذه المنطقة من العالم، لن يتردد في اعتمادها مجدداً في المواجهة الراهنة.

تتعرض فنزويلا لحرب قذرة غايتها تأجيج انقساماتها الداخلية لحمل الجيش على القيام بانقلاب عسكري. حتى الآن، من الجلي أن المؤسسة العسكرية تدعم النظام، وأن كتلته الشعبية الموالية ملتفة حوله. لكن صمود البلاد في مواجهة هذه الحرب والاستنزاف الذي يصاحبها، مشروط بمدى استعداد الصين وروسيا لدعمها، ولمعارضة أي تدخل أميركي بحزم. مصلحة البلدين تفترض وقوفهما إلى جانب فنزويلا في مواجهة سياسة «تغيير الأنظمة» المضرة بمصالحهما في جنوب القارة الأميركية، كما في مناطق أخرى من العالم.

لم يخف ترامب عند وصوله إلى السلطة احتمال لجوء إدارته إلى تدخل عسكري في فنزويلا (أ ف ب)

كاراكاس تستعدّ: إنها حرب الإرادة

علي فرحات

لا يخفي المسؤولون الفنزويليون أن المؤسسة العسكرية أخذت بجدية التهديدات الأميركية بالتدخل العسكري، ما لم يصر إلى تسليم السلطة إلى أعوان الولايات المتحدة في الداخل. هذه التحديات المصيرية استدعت تقسيماً للمهمات بين الإدارة السياسية، التي تولت المعركة الإعلامية والاقتصادية والدبلوماسية، وأدارت الملف الخارجي عبر فتح خطوط المشاورات مع الحلفاء، واتخاذ الإجراءات الصارمة إزاء الدول التي تطاولت على السيادة الوطنية، وبين القيادة العسكرية التي اتجهت إلى دراسة دقيقة لمعطيات المواجهة المفترضة، والخيارات المتاحة للردع.

تركزت الدراسة العسكرية الفنزويلية على مثلث الخصوم المحيط بالدولة البوليفارية. فالتحول السياسي المعادي في البرازيل أضاف تحدياً آخر إلى تحدّيَي كولومبيا وغويانا. لكن فنزويلا المحاصرة بكفاشة حلفاء وأشنطن تمتلك نقاط قوة عسكرية تجعلها تتحكم في إدارة المعركة، معتمدة على التفوق النوعي العسكري، والاستعدادات الميدانية والتقنية، بالإضافة إلى «الحشد الشعبي الفنزويلي» الذي أسسه وفعّله الزعيم الراحل أوغو تشافيز.

لم تكن فنزويلا الوحيدة التي اكتبت على دراسة سبل المواجهة المحتملة وإمكاناتها. فالبرازيل، التي خاضت نقاشاً داخلياً صاخباً حول هذه القضية، خلصت إلى أن أي مواجهة مع فنزويلا ستكون باهظة الثمن. وكشف الموقع الإلكتروني المتخصص في الشؤون العسكرية، «Defesanet»، أن فنزويلا كانت تسعى إلى نصب منظومة «S-300» بالقرب من الحدود مع البرازيل، بالإضافة إلى نشر أعداد غفيرة من الجيش والمتطوعين لمقاومة أي تدخل برازيلي أو أجنبي، ومن ثم إقفال المعابر الحدودية بين البلدين إلى أجل غير معلوم.

وعرض الخبير الاستراتيجي البرازيلي، غيليرمي إيلر، مقارنة لقوة البلدين العسكرية، وتحدث في تقرير شامل عن صعوبة التحشيد العسكري البرازيلي الذي سيستغرق عدة أيام، بالمقارنة مع الجاهزية الكاملة للقوى العسكرية الفنزويلية. الدراسة خلصت إلى أن عدد الدبابات والمدرعات البرازيلية يفوق عدد الآليات الفنزويلية، لكن النوعية التي تمتلكها الأخيرة تفوق الأولى قوة ودقة، وخصوصاً أن الجيش البوليفاري يمتلك دبابات من طراز «T-92» الروسية، تعتبر الأفضل في القارة اللاتينية.

إيلر كشف أن فنزويلا تملك 39 سفينة عسكرية وغواصتين، مقابل 55 سفينة برازيلية وخمس غواصات. لكنه أكد أنه في حالة أي نزاع جوي مفترض، يمكن أن تتغير المعادلة، لأن فنزويلا تمتلك منظومة دفاع متطورة ضد المقاتلات والصواريخ، حيث تشير التقديرات إلى امتلاك فنزويلا 56 قاذفة صواريخ طويلة المدى، وأكثر من 400 منظومة دفاع جوي ـ أهمها منظومة «S-300» المذكورة سابقاً ـ فيما تحوز البرازيل 42 قاذفة صواريخ، ومئة نظام دفاع جوي، ما يحقق تفوقاً استراتيجياً لفنزويلا.

على صعيد القوة الجوية، أشارت الدراسة إلى حيازة فنزويلا 24 طائرة «سوخوي» روسية من طراز «Su-30»، وعدداً كبيراً من الطوافات المقاتلة «Mil Mi-17»، بالإضافة إلى عشرات المقاتلات من طراز «F-16» الأميركية الصنع بعد صفقة أُبرمت في السنوات الماضية مع تشيلي. على الأرض، تمتلك فنزويلا حوالى 123 ألف جندي يشكلون القوة المسلحة الرسمية لفنزويلا. أما القوة الأكبر فتتمثل في «الميليشيا الشعبية» التي تتضارب الأرقام حول عديدها، لكن الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو أكد في خطاب سابق أن هذه المجموعات تضمّ مليوناً وستمئة ألف متطوع ينتشرون على كامل الأراضي الفنزويلية، وقد تموضع العدد الأكبر منهم فعلياً على الحدود الكولومبية التي تمتدّ على طول 2219 كلم، حيث سيشكلون خط الدفاع الأول عن فنزويلا.

هذه المعطيات التي وُضعت على طاولة المجلس العسكري البرازيلي خلصت إلى قرار حاسم برفض أي تدخل عسكري، أو السماح لأي جيش آخر باستخدام الأراضي البرازيلية، وذلك بخلاف الحماسة التي أبداها الرئيس الحالي جايير بولسنارو. القراءة ذاتها اطلعت عليها القيادة العسكرية الكولومبية وخلصت إلى النتيجة عينها. قرار القيادتين البرازيلية والكولومبية أغضب الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، الذي كان متفائلاً بإدارة حرب استنزاف ضد فنزويلا، مستخدماً حلفاءه اللاتينيين حصراً، على أن يبقى الدور الأميركي أقرب إلى اللوجستي والتوجيهي منه إلى التدخل المباشر. لكن حسابات ترامب، التي أرادت الاستثمار السريع في تولي حلفائه السلطة في عدد من دول أميركا اللاتينية، لم تأخذ في الحسبان الواقع الاجتماعي والاقتصادي لتلك الدول، حيث ستشكل أي مغامرة عسكرية كارثة اقتصادية وانتحاراً سياسياً للسلطة الحاكمة. واقع أدركته المؤسسات العسكرية اللاتينية قبل إدارتها السياسية وحذرت منه، ولعل أهم ما قيل في هذا الشأن جاء على لسان نائب الرئيس البرازيلي، الجنرال هاميلتون موراو، الذي سخر من التحليلات التي روجت للتدخل العسكري، وقال إن الرئيس بولسنارو ليس مجنوناً كي يشارك في هذا القرار المتهور.

> **استطاعت فنزويلا عبر جاهزيتها وتحالفاتها إعاقة فكرة التدخل العسكري المباشر**

لم يشكل التمرد العسكري الإقليمي على خطة واشنطن العائق الوحيد في مشروع إسقاط حكومة الرئيس مادورو. فالدولة البوليفارية التي تحسّبت لأطماع جارتها منذ أن تولى الزعيم الراحل أوغو تشافيز السلطة، رسمت تحالفات دولية استراتيجية؛ أهمها مع روسيا والصين وإيران. تحالفات لم تقتصر على التفاهمات السياسية فحسب، بل شملت استثمارات اقتصادية هائلة. فالصين مثلاً أقرضت فنزويلا أكثر من خمسين مليار دولار بفوائد ميسّرة جداً، وكانت مرنة جداً في تسهيل سداد هذا المبلغ ضمن إمكانات البلد اللاتيني وظروفه، كما لجأت إلى الاستثمار بمبالغ طائلة في قطاعَي النفط والسياحة.

أما العلاقة الفنزويلية ـ الروسية فقد حملت طابعاً مصيرياً كما يصفها نيكولاي بتروف، أستاذ كلية الاقتصاد العليا في موسكو. فاستثمارات روسيا الاقتصادية وقروضها التي بلغت حوالى عشرين مليار دولار وطاولت قطاعات النفط والمناجم والتسليح، تحولت إلى استثمار جيو ـ سياسي يرتبط بمصالح الدولة الروسية العليا وحاجتها الاستراتيجية إلى مدّ نفوذها في العمق اللاتيني. وعليه، فإن من غير الوارد ترك هذا الملف خاضعاً لرغبات واشنطن. في المحصلة، استطاعت فنزويلا عبر جاهزيتها الداخلية وتحالفاتها الدولية إعاقة فكرة التدخل العسكري المباشر، لكن كاراكاس تؤكد أن تحول مسار المواجهة من الحرب العسكرية إلى حرب التجويع والظلام يفترض الاستعداد لمواجهة أخطر الحروب وأقذرها. حربٌ يقول الفنزويليون إنها طاولت كل مقومات العيش، وإن الصمود فيها سيحتاج، بالإضافة إلى الدعم الاقتصادي الضروري، الى العمل الحثيث على كسر الهيمنة الأميركية، ومنعها من التمادي في ابتزازها للحكومات والمنظمات الدولية. إذ ترى كاراكاس في هذه المواجهة فرصة لإضعاف واشنطن، وشلّ قدرتها على التحكم وإدارة الفوضى، ليس فقط في أميركا اللاتينية بل على مستوى العالم.

تمتلك فنزويلا حوالى 123 ألف جندي يشكلون القوة المسلحة الرسمية (أ ف ب)